السنة الرابعة والثلاثون وأربع مئة

فيها جَرَتْ بين الخليفة وجلال الدولة مراسلات ومعاملات ومعاتبات بسبب الجوالي. قال هلال: افتتحت الجوالي في أول المحرم، فمنع الملكُ أصحابَ الخليفة منها، وأخذ ما استخرجوه، وأقام من يتولَّى جبايتها، فعزَّ على الخليفة وراسله، فلم يلتفت، فأظهر الخليفةُ العزمَ على مفارقة البلد، وتقدَّم بإصلاح الطيَّار والزبازب، وأمر القُضاة والأشراف والأعيان بالخروج صُحبَتَه، وراسل الملكَ بأقضى القضاة الماوردي، فكان جوابه: نحن نائبون عن الخلافة نيابةً لا تنتظم إلا بقوة اليد[1] وزيادة الهيبة، وقد توالى من الخدم ما أظهر الوهن، وذلك في إلجائهم كلَّ صائرٍ إلى الحريم، وذكروا من ذلك زَوجَةَ أبي الخطاب، وقال: قد احتجزَتْ من أموالنا ما هو مشهور، وما نقدر أن نطالبها به، وهي في حريم الخلافة، ومعلوم أنَّ أقلَّ ما أخذ زوجُها من خزائننا وقلاعنا في دفعة واحدة تسعُ مئة بدرة، قاسَمَ عنبرَ الخادم عليها، إلى غير ذلك، وأمَّا الجوالي فنحن معذورون فيها للضرورة، ولقد كان في عزم الغلمان أخذُها، ولو أخذوها لخرجت عن الإقطاع، وتعدَّى الطَّمَعُ إلى غيرها، فحسَمْنا بهذا الفعل موادَّهم، ونحن على كل الأحوال في الخدمة والطاعة، فكان جواب الخليفة أنه ذكر آيات الوفاء والعهود، ثم قال: وقد عُلِمَ أنَّ قواعد النيابة والتفويض إلى بني بُوَيه إنما كانت مستقرةً على الأيمان والوفاء بالعهود، ولا يمكن المقامُ على قصور الموادِّ، فإن أمكن وإلا انتقلنا إلى بعض الموادِّ. فقال الملك في الجواب: أمَّا الجوالي فقد أجَبْنا عنها، وأمَّا إجارة مَن التجأ إلى الحريم فنسأل أن تكون الأمورُ فيها على ما كانت أيام سلطان الدولة. فأجاب الخليفةُ: أمَّا ما التمس من الرجوع إلى أيام سلطان الدولة فالرضا واقع بما كانت الحال جارية عليه، فإن سلطان الدولة كان يخدم في الأيام القادرية كلَّ سنةٍ بثمان مئة ألف درهم، وعشرة آلاف دينار، ومئتي مناً عود، وخمسين مناً كافور، وخمس مئة قطعة من أصناف الثياب الفاخرة، ومن الطيب ما قد نسي مبلَغه، وإذا أعوَزَ مثلُ هذا فلا أقلَّ من أن لا تُزاحَم في أوساخ أهل الذمة، ولم يُفرِجْ عن الجوالي.

---

(١) تحرفت في (خ) إلى: البلد.

وفي صفر اختلَّتْ أمورُ الشام، واستولى مُعِزُّ الدولة صالح بن مِرْداس الكلابي على شام حلب وحصرها، وصعِدَ مَنْ كان في البلد من أصحاب الدِّزْبَري إلى القلعة، واستولى حسان بن المفرِّج بن الجرَّاح على شام دمشق ـ كما كان ـ والسواحل، وأخذ صاحب مصر في تجريد العساكر إليه، ثم إنَّ صالحاً ملك قلعة حلب بموافقةٍ بينَه وبين مَنْ كان فيها؛ لأنهم ضاق عليهم القوت، فصالحوه وصعِدَ إليها.

وفي صفر ورد رسول مودود بن مسعود إلى الخليفة ومعه كتاب يذكر فيه ما جرى على أبيه.

وفيها استولى طُغْرُلْبَك والغُزُّ على خُوارَزم.

وفي جمادى الأولى ورد الخبر الصحيح من توريز[1] أنَّ زلزلةً عظيمةً هدَّمَتْ قلعة توريز وسُورَها ودورَها وحماماتِها ومساكنَها وأسواقَها، ونجا أميرُها؛ لأنه [كان في بعض البساتين، وسَلِمَ جندُه؛ لأنه] كان قد أرسلهم إلى أماكن. وأُحصيَ من مات تحت الهدم، فكانوا خمسين ألفاً. وأنَّ الأمير جلس على المسوح ولبس السواد[2]؛ لعظم[3] هذا المصاب، وأنه على عزم الصعود إلى بعض قلاعه والتحصُّن بها خوفاً من الغُزِّ، وزُلزِلَتْ [تدمر] وبَعْلبَكَ، ومات تحت الهدم معظم أهل تدمر، وجاءت طائفة من الغُزِّ من الريِّ إلى ديار بكر، فنهبوا وقتلوا، واستجاش عليهم أبو نصر ملوكَ الأطراف فأَنْجَدوه، ورجع الغُزُّ إلى خراسان.

وفي ذي الحجَّة قَدِم الملكُ العزيز إلى بغداد، وتلقَّاه الأشرافُ والقُوَّاد وأخوتُه، ونزل أبوه في الزَّبزب والتقاه وخلعَ عليه فَرَجيَّةً كانت عليه، وعمامةً ملونة.

وفيه ورد طُغْرُلْبَك من خُوارَزم إلى الريِّ، وأنفذ أخاه من أمه إبراهيم يَنَّال إلى سجستان، وعوَّضه بها عن الريِّ، وكان معه مرداويج بن بسُّو، وكان يأخذ برأيه؛

(١) هكذا في (خ) و(ف)، وفي المصادر: تبريز. ينظر المنتظم ١٥/ ٢٨٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٥، وتاريخ الإسلام ٩/ ٤٩٦.

(٢) في (م) و(م١) العبارة مقلوبة: جلس على السواد ولبس المسوح. وينظر النجوم الزاهرة ٥/ ٣٥.

(٣) بعدها في (خ) زيادة كلمة مقحمة: الذنب.

لتقدُّمه وتدبيره، وخرج إليه أبو كاليجار بن مجد الدولة والتقاه، وصار في جملته، فأخذ منه قلعة طَبْرَكْ وهو مقيمٌ في خدمته، وولَّى القائمُ على قضاء واسط أبا القاسم علي بن غسان.

ولم يحجَّ أحدٌ في هذه السنة.

وفيها تُوفِّي

حمزة بن الحسن[١]

ابن العباس بن الحسن بن [أبي الجنّ، واسم أبي الجنّ][٢] الحسين بن علي بن محمد ابن علي بن إسماعيل بن جعفر الصادق رحمه الله، [وقد تقدم هذا، وكنية حمزة أبو يعلى، وكنية أبيه الحسن أبو محمد القاضي، وتلقَّب حمزة بفخر الدولة، وذكره أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه وقال][٣]: وُلِدَ في المُحرَّم سنة تسع وستين وثلاث مئة، ووَلِيَ قضاء دمشق نيابةً عن الظاهر بن الحاكم، وَولي النقابة بمصر، وجدَّد بدمشق منابر ومساجد وقنياً، وهو الذي أجرى الفوَّارة بجيرون، وبنى قيسارية الأشراف، وتُعرف بالفخرية ووجد في تذكرته صدقة في كل سنة سبعة آلاف دينار وسمع الحديث ورواه [عن أبي عبد الله بن أبي كامل، سمع منه سنة أربع وسبعين وثلاث مئة]، وكانت وفاته بدمشق يوم الأربعاء لعشر خلون من ربيع الأول، وكانت له جنازة لم يرَ الناس مثلها.

وقال [الحافظ ابن عساكر: قرأت في كتاب]الشريف أبي الغنائم عبد الله بن الحسين [بن محمد] النسَّابة الحسني: أردتُ السفر من [دمشق إلى] مصر فأتيته لأودِّعه وأنشدته: [من البسيط]

أستودعُ اللهَ مولايَ الشريفَ وما ... يحويه من نعمٍ تبقى ويوليها

فإنَّني عند توديعي بحضرتِهِ ... ودَّعْتُ من أجلِه الدُّنيا وما فيها

---

(١) تاريخ دمشق ١٥/ ١٩٨-١٩٩ .

(٢) ما بين حاصرتين سقط من (خ)، واستُدرك من بقية النسخ.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(م١)، وجاء بدلٌ منه في (خ) و(ف): أبو يعلى فخر الدولة.

فأقسم عليَّ أن لا أُسافر، فأقمت [عنده]، فأنعم عليَّ، وأنشدني [أبياتاً] لقُسٍّ بن ساعدة في النجوم: [من الكامل]

عـلـمُ الـنـجـومِ عـلـى الـعـقـولِ وبـالُ ... وطِـلابُ شـيءٍ لا يُـنـالُ ضـلالُ
مـأوى طِـلابُـكَ عـلـمُ شـيءٍ أُغـلِـقَـتْ ... مـن دونـهِ الأبـوابُ والأقـفـالُ
افـهَـمْ فـمـا أحـدٌ بـغـامـضِ فـطـنـةٍ ... يـدري مـتـى الأرزاقُ والآجـالُ
إلا الـذي مـن فـوقِ سـبـعِ عـرشُـهُ ... فـلـوجـهِـهِ الإكـرامُ والإفـضـالُ

وكان فخرُ الدولة مُمدَّحاً مدحه ابن حَيُّوس وغيره.

[وفيها تُوفِّي

عبد الودود بن عبد المتكبِّر[1]

ابن هارون بن محمد بن عبيد الله بن المهدي، وُلِدَ في سنة أربعين وثلاث مئة، ومات في شعبان، ودُفن عند جامع المنصور تحت القبة الخضراء، سمع أبا بكر الشافعي وغيره، وكتب عنه الخطيب، وكان ثقةً].

[وفيها تُوفِّي]

عبد الله بن هشام[2]

ابن عبد الله بن سَوَّار، أبو الحسين، من أهل داريا، أنشد لعبد الله بن عطية: [من الخفيف]

إنَّ مَـنْ لـم يـكُـنْ عـلـى الـنـاس ذئـبـاً ... أكَـلـتْـهُ فـي ذا الـزمـانِ الـذئـابُ

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن الحسين بن محمد[3]

أبو الفتح، البغدادي، [قال الخطيب]: ويعرف بقُطَيط. ولد سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، وطاف الدنيا، وسمع خلقاً كثيراً، وكان شيخاً كيِّساً ثقةً، حسنَ

(١) تاريخ بغداد ١١/ ١٤٠ ، و المنتظم ١٥/ ٢٨٧ .
(٢) تاريخ دمشق ٣٣/ ٣٤٩ـ٣٥٠ .
(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٣ـ٢٥٤ ، وفي تاريخ دمشق ٥٢/ ٣٥٢ـ٣٥٣ ، والمنتظم ١٥/ ٢٨٨ .

المحاضرة، كثيرَ النوادر، وخرج إلى الأهواز فمات بها، وكان يقول: كان جدِّي محمد يسكن البادية، فلمَّا وُلدتُ سمَّاني قُطَيطاً على عادة العرب في البراري.

قال المصنف رحمه الله: إلى هاهنا انتهت المطالعة والانتقاء من تاريخ هلال بن المحسن الصابىء من نسخة في وقف الملك الأشرف رحمه الله، وقد سقط من ها هنا إلى سنة سَبْعٍ وأربعين وأربع مئة؛ لأنَّ ولدَه غَرْسَ النعمة محمداً أرَّخَ من سنة ثمان وأربعين وأربع مئة وقال: وإلى ها هنا انتهى تاريخ والدي رحمه الله.

السنة الخامسة والثلاثون وأربع مئة

فيها دخل أصحاب طُغْرُلْبَك الريَّ فنهبوها، وهدموا منازلها ومساجدها، وسَبَوا الحريم، وقتلوا معظم أهلها، ولم يبقَ فيها سوى ثلاثة آلاف بعد أن كانوا مئة ألفٍ أو يزيدون، وكتب طُغْرُلْبَك إلى جلال الدولة كتاباً يقول فيه: من طُغْرُلْبَك بن محمد بن ميكائيل مولى أمير المؤمنين إلى الملك الجليل جلال الدولة، [وكتب إليه جلال الدولة][1] بمثل ذلك، وكتب الخليفةُ إلى طُغْرُلْبَك كتاباً يوبِّخه ويلومه على ما فعل أصحابُه بالريِّ، وخرج بالكتاب أقضى القضاة الماوردي، فتلقَّاه طُغْرُلْبَك من أربعة فراسخ إجلالاً للخليفة، وأعطاه ثلاثة آلاف دينار وخِلَعاً وخيلاً وغيرهما للخليفة وحاشيته.

وفيها دخلت الغُزُّ الموصل، فقتلوا وسبَوا حريم قِرْواش، وخرج قِرْواش منها، واستنجد عليهم بالعرب ودُبَيس وأبي نصر صاحب ميَّافارقين، فتبعوهم، فرجع الغُزُّ عليهم، فقتلوا من العرب[2] مقتلةً عظيمةً يقال: إنها كانت عشرين ألفاً، وغنموهم.

وفيها تُوفِّي جلال الدولة، وخطب ببغداد للملك أبي كاليجار [صاحب فارس].

ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ من العراق.

---

(١) هذه الزيادة من (ف).

(٢) تحرفت في (خ) إلى: الغز، والمثبت من (ف)، وهو الذي يدلُّ عليه سياق الكلام.